الرِّسَالة ١٧٤

الرّبُّ نُورى وخَلاصِى.. مِمَّنْ أخَافُ؟!

(Arabic – The Lord is my Light and my Salvation)

أحبّائِى.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **الرّبُّ نورى وخَلاصِى.. مِمَّن أخَافُ؟!**

ومِنْ المَزْمُور السّابع والعِشْرِينَ نقرأ العَدَدَ الأول والثالِث:

"الرّبُّ نورى وَخَلاصِى مِمَّنْ أخَافُ؟! الرّبُّ حِصْنُ حَيَاتِى مِمَّنْ أرتَعِبُ؟! إنْ نَزلَ علىَّ جَيْشٌ لا يَخَافُ قلبى. إنْ قامَتْ علىّ حَرْبٌ. ففِى ذلِكَ أنَا مُطمَئِنٌ".[١]

يَطيبُ لنَا كمُؤمِنين. أنْ نتغَنّى مَعَ دَاوُدَ النَبىِّ بمَزْمُورِهِ السّابع والعِشْرِينَ. فحينَ نتأملُ المَعَانِى الرائعة التِى جَاءَتْ فِى كلِمَاتِهِ إذ يقول: الرّبُّ نورى وَخَلاصِى مِمَّنْ أخَافُ. الرّبُّ حِصْنُ حَيَاتِى مِمَّنْ أرتَعِبُ. يتبَيّنُ لنَا أنّ الذى أعْطى كلماتِهِ رَوْعَة. أنّهَا تعبِّرُ بصِدْق عَنْ قوّةِ عَلاقتِهِ بالرّبِّ. وَعَنْ شِدّةِ ارتبَاطِهِ بشَخْصِهِ المُبَارك. يَظهَرُ ذلِكَ جليّاً حينَ رَفع دَاوُدُ النَبىِّ عَينيْهِ نَحْوَ الرّبِّ وقالَ: الرّبُّ نورى. وإلى ذِرَاع الرّبِّ القويّةِ وقالَ: الرّبُّ خَلاصِى. وإلى أحْضَان مَحَبتِهِ وقالَ: الرّبُّ حِصْنُ حَيَاتِى. أحبّائِى: مَا نفعِى بالنّور إنْ لمْ يكنْ نورى. وَمَا يَعُودُ علىّ مِنَ الخَلاص. إنْ لمْ يكنْ خَلاصِى. وَمَا فائِدَتِى بالحِصْن إنْ لمْ يكنْ حِصْنُ حَيَاتِى؟. مَا أرْوَعَهَا مِنْ كلِمَاتٍ!.[٢]

شَتَانَ بَيْنَ مَنْ يَعْرِفونَ الرّبّ ومَنْ يَجْهلونَهُ. مَنْ يَعْرِفونَ الرّبّ يُدْركونَ أنّهُ نورُهُمْ. وخَلاصُهُمْ. وحِصْنُ حَيَاتِهِمْ. فيُمَجّدُونَ اسْمَهُ. أمّا مَنْ يَجْهلونَهُ فيُنكِرُونَ عَظمَةَ قدْرَتِهِ. ويَصدُقُ فيهِمْ قولُ الكِتَاب: "أنهُمْ كالعُصَافةِ التِى تذرِّيهَا الرِّيحُ". رَفضُوا النّورَ لِذلِكَ يتخبّطونَ فِى الظلام. رَفضُوا الخَلاصَ لِذلِكَ هُمْ مُستعْبَدُونَ لِلخَطيّةِ. رَفضُوا حِمَايَةَ القدير وانكرُوا سُلطانَهُ عليْهِمْ. لِذلِكَ لا سَلامَ فِى قلوبهِمْ بلْ خَوْفٌ ورُعْبٌ. كتَبَ دَاوُدُ النَبىِّ فِى مَزْمُورِهِ الرّابع عَشَر: "قالَ الجّاهِلُ فِى قلبِهِ ليْسَ إله. فسَدُوا ورَجسُوا بأفعَالِهِمْ. ليْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاحاً. الرّبُّ مِنَ السّمَاء أشْرَفَ على بنِى البَشَر ليَنظرَ هلْ مِنْ فاهِمٍ طالِبِ اللهِ. الكلّ قدْ زَاغُوا مَعاً فسَدُوا. ليْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاحاً ليْسَ ولا وَاحِدٌ". أمّا المَعْنَى الثانِى الجَميل الذِى جَاءَ فِى تِلْكَ الأنشُودَةِ العَذبَةِ. الأسلوبُ الاستِنكارى السّاخِر لدَاوُدَ النَبىِّ بمُضايقيهِ الذينَ أرَادُوا مَلْءَ قلبِهِ بالخَوْفِ والرُّعْبِ. فلمْ يكتفِ المُرَنِّمُ المُلْهَمُ بأنْ يُمجّدَ اللهَ بقولِهِ: أنّ الرّبّ نورُهُ وخَلاصُهُ وحِصْنُ حَيَاتِهِ. بلْ قالَ فِى ثقةٍ واطمِئنَان مُتحَدِّياً الذينَ نَزلوا عليْهِ ليُرْعبُوهُ وشَنُّوا عليْهِ حَرْباً ليزْعِجُوهُ. فقالَ: مِمَّنْ أخَافُ؟. مِمّنْ أرتعِبُ؟. إنّهُ لا يَرَاهُمْ. لأنّهُ لمْ يَعُدْ يَخَافُ أوْ يَرْهبُ إنسَاناً مَا.[٣]

قالَ دَاوُدُ النَبىِّ: مِمَّنْ أخَافُ؟. لأنّهُ لا يَرَى أمَامَهُ مَا يُخيفُ حتى يَخَاف. وقالَ: مِمَّنْ أرتعِبُ؟. لأنّهُ لا يَرَى أمَامَهُ مَا يُرْعِبُ حتى يَرتعِب. هذِهِ هِىَ حَالُ المُؤمِن حينَ يَرَى بعَيْنَىِّ الإيمَان جَلالَ مَجْدِ الرّبِّ يَمْلأ المكان. ويفيضُ قلبُهُ بروْعَةِ وهَيْبَةِ حُضُور الرّبِّ. فيَصْغُرُ عَدُوُّهُ الذِى يُرْعبُهُ بلْ يَتلاشَى مِنْ أمَامَهِ كأنْ لا وُجُودَ لهُ. إنّ المُؤمِنَ الرّوحِىّ يُحلِقُ كالنّسْر فِى الأجْوَاء الرّوحيّةِ العُليَا. لا تأثيرَ لِجَاذبيّةٍ أرْضيّةٍ بلْ كأنّهَا اضْمَحلتْ وانعدَمَتْ.[٤]

إنّ إحْسَاسَ دَاوُدَ النَبىِّ بالأمَان الكامِل يُعلِلهُ بأرْوَع التشْبيهَاتِ فِى مَزْمُورِهِ السّابع والعِشْرِينَ. إنّهُ يَرَى نفسَهُ دَاخِلَ مَظلةٍ. مُستتِرٌ فِى خَيْمَةٍ. مُرتفِعٌ على صَخْرَةٍ. فهُوَ يقولُ: "لأنّهُ يُخبئنِى فِى مَظلتِهِ فِى يَوْم الشّرِّ. يَسترُنِى بسِتر خَيْمَتِهِ. على صَخْرَةٍ يَرْفعُنِى. والآنَ يَرتفِعُ رَأسِى على أعْدَائِى حَولِى". ثمّ يَرَى نفسَهُ حَائِراً أمَامَ إحْسَانَاتِ الرّبِّ عليْهِ. فبمَاذا يَرُدُّ للرّبِّ؟. لِذلِكَ يقولُ: "مَاذا أرُدُّ لِلرّبِّ مِنْ أجل كلِّ حَسنَاتِهِ؟". ولكنّ الرّوحَ القدُسَ ألهمَهُ بمَاذا يَرُدُّ. إنّ ذبَائِحَ الحَمْدِ هِىَ أفضلُ مَا يتقبلهُ الرّبُّ مِنْ قدِّيسيهِ. لِذلِكَ تَرنّمَ قائِلاً: "فأذبَحُ فِى خيمَتِهِ ذبَائِحَ الهُتافِ. أغَنِّى

---

[١] سفر المزامير ٢٧: ١ & ٣ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ١٠: ٣ – ٥

[٣] سفر المزامير ١: ٤ & ١٤: ١ – ٣

[٤] رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٤: ٨

وأرَنِّمُ لِلرّبِّ". وفِي مَزْمُورِهِ الرّابع والعِشْرِينَ رَنّمَ دَاوُدُ النَبيِّ لِلرّبِّ إلهِهِ قائِلاً: "لِلرّبِّ الأرْضُ ومِلؤُهَا. المَسكونَة وكلّ السّاكِنينَ فيهَا. لأنّهُ على البحَار أسّسَهَا وعلى الأنهَار ثبّتهَا. مَنْ يَصْعدُ إلى جبَل الرّبِّ ومَنْ يقومُ فِي مَوضِعِ قدْسِهِ؟. الطاهِرُ اليَدَيْن والنقِيُّ القلبِ الذِي لمْ يَحْمِلْ نفسَهُ إلى البَاطِلِ وَلا حلَفَ كَذِباً. يَحْمِلُ بَرَكَة مِنْ عِنْدِ الرّبِّ وبِرّاً مِنْ إلهِ خَلاصِهِ. ارْفعْنَ أيّتهَا الأرتاجُ رُؤُوسكنّ. وارتفِعْنَ أيّتهَا الأبْوَابُ الدّهْرِيّاتُ فيَدْخلَ مَلِكُ المَجْدِ. مَنْ هُوَ هذا مَلِكُ المَجْدِ. الرّبُّ القديرُ الجَبّارُ الرّبُّ الجَبّارُ فِي القِتال. ارْفعْنَ أيّتهَا الأرتاجُ رُؤُوسكنّ. وَارْفعْنَهَا أيّتهَا الأبْوَابُ الدّهْرِيّاتُ فيَدْخلَ مَلِكُ المَجْدِ. مَنْ هُوَ هذا مَلِكُ المَجْدِ؟. رَبّ الجُنودِ هُوَ مَلِكُ المَجْدِ".[1]

كلّ مَنْ كانَ الرّبُّ نورَهُ وخَلاصَهُ وحِصْنَ حَيَاتِهِ. يَذبَحُ لِلرّبِّ ذبَائِحَ الهُتافِ والحَمْدِ. وتخْرَجُ مِنْ بَيْنَ شَفَتيْهِ أحلى الأغَانِي لِجَلالِهِ. وأعْذبُ تَرَانيم التسْبيح والتمْجيدِ لاسْمِهِ العظيم. إنّ الإنسَانَ لا يَستطيعُ أنْ يَشْدُوَ مُعَظِماً الرّبّ قائِلاً كدَاوُدَ النبيِّ: الرّبُّ نورِي مَا لمْ يستلمْ الرّبُّ قلبَهُ كامِلاً. وليْسَ مِنْ مَصْدَرٍ للاستِنَارةِ إلا الرّبّ نفسه. وَمَنْ استنَارَ بنور الرّبِّ اكتسَبَ مَعرفة وحِكمَة وتمْييزاً رُوحيّاً. لقدْ جَاءَ بإنجيل يُوحنا الأصْحَاح الثامِن قولُ الرّبِّ يَسُوع لِلكتبَةِ والفريسيّين: "أنَا هُوَ نورُ العَالم. مَنْ يتبَعُنِي فلا يَمْشِي فِي الظلمَةِ. بلْ يكونُ لهُ نورُ الحَيَاةِ".[2]

إنّ الإنسَانَ ببُعْدِهِ عَن اللهِ يَعرِّضُ نفسَهُ لِلسقوطِ والهَلاكِ. كثيرُونَ ضلّوا. استمْرَأوا العَيْشَ فِي الظلمَةِ لأنّهُمْ أحَبّوا الظلمَة أكثرَ مِنَ النور. وضمّهُم إبليسُ إلى مَملكتِهِ التى تدْعَى مَملكَة الظلمَةِ. وليْسَ مَنْ يُخلِصُهُمْ ويُحَرِّرُهُمْ مِنْ قيودِهِمْ إلا الرّبّ. إنّ الرّبّ يُخلِصُ طالبيهِ ويَهْديهُمْ بنورِهِ إلى الحَقِّ. جَاءَ بسِفر إرميَا الأصْحَاح التاسِع والعِشرينَ قولُ الرّبِّ: "وتطلبُونَنِي فتجِدُونَنِي إذ تطلبُونَنِي بكلِّ قلبكمْ". ليْسَ مَنْ يَستطيعُ أنْ يقِفَ ليَمْنَعَ إشْرَاقَ نور الرّبِّ على قلبِ إنسَان طلبَ اللهَ مِنْ كلِّ قلبِهِ. وَمَنْ كانَ اللهُ نورَهُ كانَ اللهُ خَلاصَهُ. وكانَ حِصْنَ حَيَاتِهِ. ولنْ يُدْركهُ خَوْفٌ أوْ رُعْبٌ. لأنّ "السّاكِنَ فِي سِتر العلِيّ فِي ظِلِّ القدير يَبيتُ بخَوافيهِ يُظلِلهُ وتَحْتَ أجنِحتِهِ يَحتمِي. لا يخْشَى مِنْ خَوْفِ الليل ولا مِنْ سَهْم يَطيرُ فِي النّهَار. ولا مِنْ وبَإ يَسلكُ فِي الدّجَى. ولا مِنْ هَلاكٍ يُفسِدُ فِي الظهيرَةِ. يَسقط عَنْ جَانبه ألفٌ وربوَاتٌ عَنْ يَمينِه. إليْهِ لا يقرُبُ. إنّمَا بعَيْنيه ينظرُ ويرَى مُجَازَاةَ الأشْرار".[3]

قالَ يُوحنَا البشير: "كانَ النورُ الحقيقِي الذِي يُنيرُ كلّ إنسَان آتياً إلى العَالم. كانَ فِي العَالم وكوِّنَ العَالمُ بهِ ولمْ يَعْرفهُ العَالمُ. وهذِهِ هِي الدّينونَة أنّ النورَ قدْ جَاءَ إلى العَالم وأحَبّ النّاسُ الظلمَة أكثرَ مِنَ النور. لأنّ أعْمَالهُمْ كانتْ شرِّيرَة. لأنّ كلّ مَن يَعْملُ السّيئاتِ يُبْغِضُ النورَ ولا يأتِي إلى النور لِئلا توبّخَ أعْمَالهُ. وأمّا مَنْ يفعلُ الحقّ فيقبلُ إلى النور لكى تظهرَ أعْمَالهُ أنّهَا باللهِ مَعْمُولة". وكتبَ بُولسُ الرّسولُ إلى مُؤمِنِي كولوسِي: "شاكِرِينَ الآبَ الذِي أهلنَا لِشركةِ ميرَاثِ القدِّيسينَ فِي النور. الذِي أنقذنَا مِنْ سلطان الظلمَةِ ونقلنَا إلى ملكوتِ ابْن مَحَبتِهِ".[4]

أحبّائِي. لِنَسلكْ فِي النور لأنّ اللهَ نورٌ. قالَ يُوحنَا الرّسُولُ فِي رسَالتِهِ الأولى: "وهذا هُوَ الخَبَرُ الذِي سَمِعناهُ منْهُ ونخْبِركمْ بهِ: إنّ اللهَ نورٌ وليْسَ فيهِ ظلمَة البتة. إنْ قلنَا أنّ لنَا شَرِكَة مَعَهُ وسلكنَا فِي الظلمَةِ نكذِبُ ولسْنَا نَعْمَلُ الحَقّ. ولكنْ إنْ سلكنَا فِي النور كمَا هُوَ فِي النور. فلنَا شَرِكة بَعْضُنا مَع بَعْض ودَمُ يَسُوعَ المَسيح ابْنِهِ يُطهِّرنَا مِنْ كلِّ خَطيّةٍ. إنْ قلنَا إنّهُ ليْسَ لنَا خَطيّة نضِلّ انفسَنَا وليْسَ الحَقُّ فينَا. إنْ اعترفنَا بخَطايَانَا فهُوَ أمينٌ وَعَادِلٌ. حتى يَغفِرَ لنَا خَطايَانَا ويُطهرنَا مِنْ كلِّ إثم. إنْ قلنَا إنّنَا لمْ نُخْطِئْ نجْعلهُ كَاذباً وكلِمتهُ ليْسَتْ فينَا".[5]

عَزيزِي القارئ.. أدْعوكَ لِتشترِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِيّ.. أنْتَ ربّي وإلهِي أنْتَ نورِي وخَلاصِي. مِمّنْ أخَافُ؟. أنْتَ حِصْنُ حَيَاتِي. مِمّنْ ارتعِبُ؟. إنْ نَزلَ علىّ جَيْشٌ لا يَخَافُ قلبِي. إنْ قامَتْ علىّ حَرْبٌ ففِي ذلِكَ أنَا مُطمَئِنٌ. لسْتُ أخَاف شرّا لأنكَ أنْتَ مَعِي. أنَتَ المُمْسِكُ بيمِينِي يَا مَنْ أيّدتنِي وأعَنتِنِي وَعضَدْتنِي بيَمين برِّكَ.. أرفعُ صَلاتِي فِي اسْم يَسُوعَ البَار مُتكِلاً على وَعدِكَ يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِي القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالةِ أو غَيرَهَا ستجدُ ذلِكَ فِي:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] سفر المزامير ٢٤: ١ – ١٠
[2] إنجيل يُوحنا ٨: ١٢
[3] سِفر إرميَا ٢٩: ١٣ ، سفر المزامير ٩١: ١ – ٨
[4] إنجيل يوحنا ١: ٩ – ١١ & ٣: ١٩ – ٢١ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى ١: ١٢
[5] رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ٥ – ١٠